

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[115] "فَكَرَّرْ فِي لَوْنِ السَّمَاءِ وَمَا فِيهِ مِنْ صَوَابٍ التَّدْبِيرَ،

فَإِنْ هَذَا اللَّوْنُ أَشَدُّ الْأَلْوَانِ مُوَافِقَةً لِلْإِبْصَارِ وَتَقْوِيَةً

..."(1). ومن الواضح أن زرقة السماء ليست إلا لون الهواء الكثيف المحيط بالأرض. ولهذا

فإن المقصود بالسماء في هذا الحديث هو جو الأرض نفسه. وأضيفت كلمة الجو إلى السماء

في قوله تعالى: (أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ) (2). وحول معاني السماء الأخرى ستحدث بشكل أوفى في ذيل الآية 29 من هذه السورة. بعد ذلك

تطرق الآية إلى نعمة المطر: (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ... ماءً يحيي الأرض ويخرج منها الثمرات. عبارة (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) تؤكد مرة أخرى أن المقصود من "السماء" هنا هو جو الأرض، لأننا نعلم أن المطر ينزل من الغيوم، والغيوم

بخار متناثر في جو الأرض. الإمام علي بن الحسين (عليه السلام) يتحدث عن نزول المطر في

تفسير هذه الآية فيقول: "يُنْزِلُهُ مِنْ أَعْلَى لِيَدْلُغَ قُلُوبَ جِبَالِكُمْ

وَتَلَالِكُمْ وَهَضَابِكُمْ وَأَوْهَادِكُمْ، ثُمَّ فَرَّقَهُ رِذَاذًا وَوَابِلًا

وَهَاطًا لِيَتَنَشِّفَهُ أَرْضُوكُمْ، وَلَمْ يَجْعَلْ ذَلِكَ الْمَطَرَ نَازِلًا

عَلَيْكُمْ قَطْعَةً وَاحِدَةً فَيُفْسِدَ أَرْضِيكُمْ وَأَشْجَارَكُمْ وَزُرْعَكُمْ

وَتِيمَارَكُمْ" (3). ثم تشير الآية إلى نعمة الثمرات التي تخرج من بركة الأمطار لتكون

رزقاً لبني البشر (فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ). وإخراج الثمرات

مدعاة للشكر على رحمة رب العالمين لعباده، ومدعاة للإذعان بقدره رب العالمين في إخراج

ثمر مختلف ألوانه، من ماء عديم اللون، _____ 1 -

بحار الأنوار، ط الجديد، ج 3، ص 111. 2 - النحل، 79. 3 - تفسير نور الثقلين، ج 1، ص 41.